

أمثلة الدكتور مخير لن تموت

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في ١٣ نيسان امتدت يد الموت، فخطفت من وطن الأرز وشعبه العنيد المعذب السياسي الدكتور البير مخير، انتقل الحكيم راضياً إلى جوار ربه مرتاح الضمير بعد أن عاش ٩٠ سنة بما يرضي خالقه، ثوابته الوطنية، الأخلاقية والإنسانية. خطف القدر الإنسان الخلق، الطبيب الإنسان، الوطني المناضل والمؤمن التقى. خطف الموت صاحب المواقف الجريئة وهو الذي لم يُغلب يوماً مصالحه الشخصية على مصالح الوطن والمواطنين.

تسعون سنة قضاها الحكيم في خدمة لبنان ومصالح أهله، وما تخلي في يوم من الأيام تحت أي ظرف عن أي من ثوابته. كان رحمه الله وكلما مرّ على حاجز الجيش السوري عند مدخل بلدته "بيت مري" في الصباح والمساء يقول لإفراد الحاجز: "شو بعدكن عم تعملوا هون، فلوا، رجعوا لبلادكم".

ما خاف الحكيم يوماً من الموت، لم يساير، يقايض أو يساوم على ما آمن به من قيم ومبادئ. بقي طوال حياته خادماً وفاقاً للحقيقة، شاهداً جريئاً للحق، ومدافعاً صنيدياً عن المظلومين والفقراء. كان دائماً يقول: "ما حدا بيروح قبل وقتو".

جسد الحكيم بمواقفه صلابة اللبناني العنيد، عزته، عنفوانه، عقيدة ال ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع، وجذور ال ٦٠٠٠ سنة حضارة. جسد من خلال نضاله السياسي والاجتماعي طموح اللبناني، حبه للحرية، عشقه للديموقراطية وتعلقه بتربة لبنان المجبولة بدم وعرق آبائنا، أجدادنا وأحفادنا. قال للمحتل السوري، أنت المحتل، قالها من داخل مجلس النواب ومن خارجه. لم ترعبه تهديدات المحتل أو هرطقات رموزه من حكام واجهات، مخابرات وتجار دماء. تميز بنظافة كفه وبطهر ونقاوة فكره الوطني والإنساني، تميز عن باقي القيادات والسياسيين التجار بتقديسه الحريات والديموقراطية قولاً وممارسة.

رفض الحكيم اتفاقية القاهرة التي وهبت الجنوب لمنظمة فتح الفلسطينية مشرعةً حدود الوطن للأغراب، ومن بعدها وقف ضد اتفاقية الطائف بقوة، اتفاق الغير على لبنان، الذي فرض بقوة السلاح السوري، اللاموقف الإقليمي - الدولي وخيانة طروديين لبنانيين.

عارض كل الاتفاقات التي فرضتها سوريا على لبنان تحت هرطقة ما سُمي زوراً "الأخوة والتسويق". قال للرئيس السوري الراحل ولخليفته "أنتم الاحتلال، اسحبوا جيشكم من بلدي واتركوا شعبي يقرر مصيره. طالب بتمثيل دبلوماسي رسمي بين بيروت ودمشق لوضع حد نهائي لادعاءات سورية الباطلة ومطالبها بضم لبنان.

قال للرئيس الأميركي "نحن معكم في محاربة الإرهاب ولكن ابدأوا من لبنان فهو من أولى ضحياءه، وعار على أكبر وأقوى ديموقراطية في العالم أن تحمي الاحتلال السوري لوطني وترعاه على حساب حرية وحقوق شعبي العنيد المحب للسلام الذي أعطى العالم حروفه الأبجدية والكثير من مقومات حضارته.

بقي الحكيم يداوي جروح الوطن، ويعالج أوجاع الناس حتى توقفت الحياة في جسده. أسلم روحه إلى خالقه تاركاً هذه الدنيا الفانية بمشاكلها وتعقيداتها وظلمها قبل أن تتحقق أمنيته بتحرير لبنان وانسحاب الجيش السوري منه. سموه بطيريك السياسة وضمير الفقراء، وهو أثبت استحقاؤه بجدارة للمسميين.

انحنى أمام الموت، لأن الموت حق، وهو ما انحنى هامته لمخلوق. تقبل مصيره برضى بعد أن عاش حياته بمرّها وحلوها طوال ٩٠ سنة. خضع راضياً لارادة خالقه تاركاً لشعبه المعذب ارتأاً وطنياً وأخلاقياً وإنسانياً لا يقدر بثمن.

نعم لقد خطف الموت الحكيم، إلا أنه باقٍ بقيمه وبمثله في وجدان وضمير كل لبناني حر. كانت أمنية الحكيم أن يرى وطن أجداه وقد عاد دولة حرة، سيّدة، مستقلة، خالية من الجيوش الغريبة وظلم إفرزاته اليهوداسية، إلا أن الإرادة الإلهية بحكمتها حالت دون تحقيق أمنيته هذه. سترقص عظام الحكيم في قبره، وتفرح روحه يوم تتحقق أمنيته التي هي بالواقع أمنية كل لبناني حر. بإذن الله سوف تتحقق هذه الأمنية طال الزمن أو قصر لأننا شعب نعيش على رجاء القيامة، قيامة وطننا من قبر الاحتلال.

لبنان سيدون في تاريخه اسم الدكتور مخيبر في سجل الأبطال والقديسين. سيبقى الدكتور مخيبر حياً بإنجازاته وقيمه وامثولته الوطنية لن تموت.